الفصل الثانى

[فعائل الأجواد من السلف وثقتهم بالله فى حسنِ الخلق]

□ خالد بن عبد الله القسرى وكيف كانت خطبته ؟! :

فأول ما أبتدىء فيه ، وأشير إليه ما روى عن ابن المستورد الأشعرى ، عن أبيه ، عن جدّه – وكان من الصحابة – عن يزيد بن عبد الله ، عن خالد بن عبد الله[1] قام على المنبر بواسط خطيبًا ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى – ﷺ – وقال : « يأيها الناس سارعوا إلى المغانم ، واشتروا الحمد بالجود ، ولا تكسبوا بالمطل دماءكم ، **وتعدوا** بمعروف لم تعجلوه ، ومهما يكن لأحد منكم عند أحد نعمة لم يبلغ مداها شكرها فالله أحسن لها أجرًا ، وأجزَل عطاءً ، واعلموا أن حوائج العباد إليكم نِعم من الله إليكم ، فلا تَملّوا النِّعم فتحوزوا نِقَمًا ، واعلموا أن أفضل المال ما اكتسب أجراً وأوْرثَ ذِكراً ، ولو رأيتم المعروف رجلاً لرأيتموه حَسَنًا جميلاً يَسُرّ الناظرين ، ويفوق العالمين ، ولو رأيتم الْبُخْلَ رجلاً لرأيتموه مشوّهاً تَنْفِر منه القلوبُ وتغضّ منه الأبصار .

أيها الناس من جَاد سَاد ، ومن بَخل ذَلّ ، وإن أكرم الناس من أعطى من لّا يرجوه ، وأعظم عفوًا من عفا عن قدرة ، وأفضل الناس من وصَلَ من قَطَعه ، ومَنْ لّم يطب حرثه لم يَزْكُ[2] نبتُه ، والفروع عن مغارسها تنمو وبأصولها تسمو ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم » .

□ رجل حُشِىَ كَرَمًا ! :

وروى عن بعض بنى أمية أنه ولى الكوفة مدة طويلة وكان بها رجل من وجوهها[3] وأكابرها ، وكان لا تجف له لِبْدة[4]، ولا يستريح ، ولا تسكن له حركة فى طلبه حوائج إخوانه ، وإدخال السرور عليهم ، والإنفاق

(١) خالد بن عبد الله القسرى أمير العراقين من قِبل هشام بن عبد الملك .

(٢) زكا نبته : نما وزاد .

(٣) وجوهها : أعيانها وأصحاب الشأن فيها .

(٤) اللّبد : ما يوضع تحت السرج والعبارة كلها كناية عن تواصل أسفاره وكثرتها .

على ذراريهم ، وكان عفيفًا فى دينه وأمانته ، لين الكلمة للإخوان .

وقيل له : أخبرنا ما الذى هَوّن عليك النّصَب ، وقوّاك على التّعَب فى حوائج إخوانك وأصدقائك ؟ وماهو الباعث لك على ذلك ؟ ومن أى شكل هو ؟ .

فقال : والله سمعت تغريد الأطيار بالأسحار على الأشجار ، وتجاوبَ العودِ والمِزمار ، وسمعت فنون العيدان والقَيْنات[1] الحِسَان ، فما طربت من صوت حَسَنٍ كطربى من لسان يُثنى على رجل قد أحسن ، ومن شُكْر حُرٍّ لمنعم حُرّ ، فقيل : لله أبوك[2]! لقد حُشِيتَ كرمًا .

□ أحب الأوانى إلى الله أصفاها ! :

ورُوى عن النبىِّ – ﷺ – أنه قال : « **ألا إن الله – عزَّ وجلَّ – فى الأرض أوانى ألا وهى القلوب ، وأحَبُّ الأوانى إلى الله أصفاها وأصلبُها وأرقها ، أصفاها من الذنوب ، وأصلبُها فى الدين ، وأرقها على الإخوان** »[3].

قال الشاعر :

إن السخاءَ على العبادِ فريضةٌ ... لله تُتلى فى الكتابِ المحكمِ
وَعَدَ الإلٰهُ الأسخياءَ جِنانَه ... وأعَدّ للبخلاءِ نارَ جَهَنَّم
من كان لا تَنْدَى يَداه بطائل ... للراغبينَ فليس ذاك بمسلم[4]

□ أولى الناس بظهر الأرض ، وأحقهم ببطنها :

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – : « **إذا كان أمراؤكم خيارَكم ، وأغنياؤُكم سُمَحاءَكم ، وأمْركم شورى بينكم ، فظهُر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كان أمراؤكم شرارَكم ، وأغنياؤكم بخلاءكم ، وأموركم إلى نسائكم ، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها** »[5].

---

(١) القينات : جمع قينة وهى الجارية المغنية . (٢) من أساليب التعجب .

(٣) حديث صحيح : أخرجه الطبرانى فى الكبير ، وقال الحافظ العراقى فى تخريج الإحياء : رواه الطبرانى وإسناده جيد انظر الصحيحة للألبانى ١٦٩١ .

(٤) بطائل : بمعروف ، ويلتقى هذا البيت مع الحديث الذى رواه الحاكم من حديث عائشة بلفظ : « ليس المؤمن الذى يبيت شبعانا وجاره جائع إلى جنبه » .

(٥) أخرجه الترمذى وقال : حديث غريب .

□ علام يدل الشيب فى مقدم الرأس والقفا ؟! :

وقال ابن عباس – رضى الله عنهما – : « شيب الرجل فى مقدم رأسه من الكرم ، وفى قفاه من اللُّؤم ! » .

□ ماذا ينفع مع اللئيم ؟ :

وقال عبد الله بن عمر : « اللئيم لا تنفع عنده معرفة إلَّا عن رغبة أو رهبة » .

□ بخل هنا وسخاء هناك! :

وقال إبراهيم بن أدهم : « بخلت بالدنيا على أصدقائك ، وسخوت بآخرتك على أعدائك فلا أنت بما بخلت به معذور ، ولا بما سمحت به محمود » .

وأنشد :

من أظهَر الإحسانَ مِنْ فِعْلِه وعَـمَّ بالـفضل جَميعَ الأنـام
ازْدَحَـمَ النـاسُ على بابـه والْمَنهلُ العَذْبُ كثيرُ الزّحام

□ أفأبخل عليهم اليوم بالدنيا ؟ :

قال : وورث عبد الملك بن الحر خمسين ألفاً فبعث بها إلى إخوانه صُرَرًا وقال :

« كنت أسأل لإخوانى فى صلاتى الجنة أفأبخل اليوم عليهم بالدنيا ؟! » .

□ هكذا كان الأصحاب ! :

وقال ابن سيرين : « كان أصحابنا يتهادون الدراهم فى الجُوالِقات[1] وعلى الأطباق » .

□ بم نتقى الشر ؟ :

وقال النبى – ﷺ – : « **من أدّى الزكاة ، وأقرى الضيف ، وأدى الفائتة فقد وُقِىَ شَرَّ نَفْسِه** »[2]

---

(١) جمع جُوَالق وهو وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح والتمر ونحوهما .

(٢) لم أعثر على هذا النص فيما بين يدى من المراجع وقريب من بعضه ما رواه ابن خزيمة والحاكم والطبرانى فى الأوسط من حديث جابر مرفوعاً بلفظ : « من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره » .

□ من عضها الجوع ! :

وقيل : كانت خالة حاتم الطائى سَخِيّة لا تترك شيئاً إلَّا جادت به ، فحَجَر عليها أخواتها حتى إذا ذاقت طعم الفقر والجوع ظنوا أنها قد وجَدَتْ ألمَ الضيق . فأطلقوها ودفعوا لها صرة فيها مال ، فأتتها سائلة فقالت : دُونَك الصّرة لقد عَضّنِى الجوع بما لا أمنع بعده سائلاً أبداً .

□ إن غضبى لا يُسْقط هبتى ! :

وكان بعضُ الأجواد يُجرى على رجلٍ شيئاً ، فغضِب عليه ، وكان ولده يكتب إطلاقاتٍ[1] للناس ويرفعها إليه ، فترك اسم ذلك المغضوب عليه ، فقال : يابنى أين ذكر فلان ؟ فقال : ياأبت إنك كنت غضبت عليه !، فقال : يابنى إن غضبى لا يُسقط هِبتى ، إن أباك لا يَغْضَبُ فى النَّوال[2].

□ لِمَ وُصِفَ الله بخير الرازقين ؟! :

وسُئل بعض الصوفية : لِمَ وُصِفَ الله بخير الرازقين ؟ فقال : لأنه إذا كُفِرَ به لم يقطع رزقه عن الكافر ! .

[جُود الحسن بن علىّ]

□ مابقى عندنا درهم ! :

وسأل رجل الحسن بن على – رضى الله عنهما – فقال له الحسن : ياهذا سؤالك يَعْظُمُ لدى ، ومعرفتى لما يجب لك يكبر علىَّ فى ذات الله قليل ، وما فى ملكى وفاء لشكرك فإن قبلت باليسير ، ورفعت عنى مؤنةَ الاحتيال والاهتمام بما أتكلف به من واجبك فعلت ! .

فقال الرجل : يابن بنت رسول الله – ﷺ – أنا أقبل اليسير ، وأشكر على العطية ، وأعذر على المنع .

فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها ، فقال له : أعطنى الفاضل منها فأحضر خمسين ألف درهم منها ، قال : فما فعلت بالخمسمائة دينار ، قال : عندى ، قال : عَلَىَّ بها ، فأحضرها ، فدفع له الدراهم والدنانير ، وقال له : أحضر من يحملها ، فأتاه بمن يحملها ، فدفع

(١) يقال : أعطاه من ماله طَلَقاً أى نصيباً .
(٢) النوال : العطاء .

له الحسن رداء كان عليه أجرة حملها ، فقال له مواليه : مأبقى عندنا درهم ، فقال لهم : أرجو أن يكون لى عند الله تعالى ذلك ! .

[تنافسوا فى الخير تفلحوا]

□ أذنت لكم أن تذبحوا هذه الشاة ! :

وحدث أبو الحسن المدائنى ، قال : خرج الحسن والحسين – رضى الله عنهما – ومعهما عبد الله بن جعفر – رضى الله عنه – حُجّاجًا فسبقتهم القافلة وفاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا ، فمروا بعجوز فى خِباء لها ، فقالوا لها : هل من شراب ؟ قالت : نعم ، فأَنَاخُوا[1] بها ، وليس لها إلّا شويهة[2] واحدة ، فقامت وحلبت الشاة وأَتَتْهُم بلبنها ، فشربوا ثم قالوا : هل من طعام تأتينا به ؟ فقالت : أذنت لكم أن تذبحوا هذه الشاة فما عندى سواها ، فقام إليها أحدُهم فذبحها وقطعها ، فهيأت لهم العجوز منها طعاماً فأكلوا وأقاموا حتى أَبْرَدُوا[3]، فلما ارتحلوا قالوا : نحن قوم من قريش نريد هذه الوجهة ، فإذا رجعنا فمرّى بنا فإنَّا صانعون لك خيراً إن شاء الله تعالى ، ثم ارتحلوا ، وجاء زوج المرأة فأخبرته خبر القوم وما قالوا لها ، فغَضِبَ وقال : وَيْحَكِ أتذبحين شاةً مالنا سواها لقوم لم نعرفهم ؟! ، ثم بعد مدة ألجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة ، فدخلاها وجعلا يبتاعان البَعْر[4] ويعيشان بثمنه ، فمرت العجوز فى بعض الطرق ، وإذا الحسن على باب داره فعرفها وهى لم تعرفه ، فبعث إليها غلامه فدعاها إليه ، فقال لها : ياأَمَة الله هل تعرفيننى ؟ قالت : لا . قال : أنا أحد ضيوفك يوم صنعت لنا الشاة ، قالت : بأبى أنت وأمى ، فأمر أن يشترى لها من غنم الصدقة ألف رأس ، وأمر لها بألف دينار ، وبعث بها إلى الحسين ، فصنع معها ما صنع الحسن ، ثم بعث بها إلى عبد الله بن جعفر ، فقال : بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت : بألفى شاة وألفى دينار ، ففعل بها مثل صنيع الحسن والحسين ، فرجعت العجوز لزوجها بالمال والأغنام ! .

□ قالوا : أنفدتَ المال ، وأجحفت بالخزانة ! :

وقدم عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية ، فقال يزيد : ما كان أمير

---

(١) أناخوا بها : نزلوا عليها وحطوا رحالهم . (٢) شاة صغيرة ضعيفة .
(٣) أبردوا : قضوا وقت القيلولة والظهيرة عندها حتى انكسرت الموجة الحارة .
(٤) البَعْر : رجيع ذوات الخف ، وذوات الظلف إلا البقر الأهلى .

المؤمنين يعطيك ؟! – يعنى أباه معاوية – قال : كان رحمه الله يعطينى مائة ألف إذا قدمت عليه ، قال : لك مائة ألف ولقولك : « رحمه الله » مائة ألف ، قال : بأبى أنت[1] وأمى ، قال : ولهذه الكلمة مائة ألف ، قال : أحسن الله إليك ، قال : ولهذه الكلمة مائة ألف ، قال : فحمل عبد الله المال وانصرف ، فقيل ليزيد : أنْفَدْتَ المال ، وأجحفت بالخزانة ، دفعت لرجل واحد خمسمائة ألف درهم ، فقال : **ما دفعتها له وحده وإنما دفعتها لسائر أهل المدينة لأنه ما يملك درهماً إلَّا جاد به** ، فلما رجع عبد الله إلى المدينة لم ينزل عن راحلته حتى فرقها لمن يستحقها ، فعوتب فى ذلك فقال : **إن الله عودنى عادة وعودت خلقه عادة ، فعودنى أن يمدنى بالرزق وعودتُ خلقه بالبر ، فأكره أن أقطع العادة فيقطع عنى المادة !** .

□ من دعاء الأجواد ! :

وقيل : ضاق به الوقت فى آخر عمره فدعا يوم جمعة ، وقال : « اللهم إن كنت صرفت عنى ما كنت تُجْريه على يَدى من الإحسان إلى خلقك فاقبضنى إليك » فما عاش إلى جمعة أخرى ! .

[مَنْ أجود الناس ؟!]

وحدّث الهيثم بن عدى قال : تراهن ثلاثة نفر فى الأجواد ؛ فقال أحدهم أجود الناس فى عصرنا هذا قيس بن علقمة .

وقال آخر : أجود الناس فى عصرنا هذا عَرابة الأَوْسِىّ .

وقال آخر : أجود الناس فى عصرنا هذا عبد الله بن جعفر ، فتشاجروا فى ذلك وأكثروا ، فقال لهم الناس : يمضى كل واحد منكم إلى صاحبه يسأله حتى ينظر ما يعطيه ويحكم على العِيان .

□ خذها بما عليها ! :

فقام صاحب عبد الله بن جعفر ، فصادفه وقد تجهز لبعض أسفاره على راحلته ، فقال له : يابنَ عَمِّ رسول الله – ﷺ – أنا ابنُ سبيل منقطع يريد رِفْدَك[2] ليستعينَ به ، وكان قد وضعَ رجله على ظهرِ راحلتِه فأخرج رجله

(١) أفديك بهما .
(٢) عطاءك .

وقال : خُذْهَا بما عليها ، فأخذها فإذا عليها مطارفُ خَزٍّ[1] وألفا دينار .

□ **أحضر لك راحلة فاركبها ! :**

● ومضى صاحب قيس فصادفه نائماً ، فقرع الباب فخرجت إليه جارية ، فقالت : ماحاجتك فإنه نائم ؟ قال : ابن سبيل منقطع أتيت إليه يعيننى على طريقى ، فقالت الجارية : حاجتُك أهونُ علىّ من إيقاظه علينا ، ثم أخرجت له صُرّة فيها ثلثمائة دينار ، وقالت له : امض إلى معاطِنِ[2] الإبل فأحضر لك منها راحلة[3] فاركبها ، وامض راشدًا ، فمضى الرجل وأخذ المال والراحلة ، فلما استيقظ قَيْسٌ من نومه أخبرته الجاريةبالخبر فأعتقها سرورًا .

□ **خذ هذين العبدين ! :**

● ومضى صاحب عَرابة فوجده قد عَمِىَ ، وقد خرج من منزله يريد المسجد ، وهو يمشى بين عَبْدَين ، فقال له : ياعرابةُ ؛ ابن سبيل ومنقطع ، يريد رِفْدَك ، فقال : واسَوْأتَاه !! ، والله ما تَرَكَتِ الحقوقُ فى بيتِ عَرَابَةَ الدّرهَم الفرد ، ولكن ياأخى خذ هذين العبدين ، فقال الرجل : ما كنت بالذى أقصُّ جَناحك ! ، فقال : والله لابد من ذلك وإن لم تأخذهما فهما حُرّان ! .

فنزع يديه من العبدين ورجع إلى بيته ، وهذا الجدار يَلْطِمُه وهذا الجدار يَصْدِمُه حتى أثّرَ فى وجهه ، فلما اجتمعوا حكموا لصاحب عرابة بكثرة الجود[4].

[عبد الله بن جعفر والأعرابىّ]

□ **خذه بما عليه ! :**

وخرج أعرابى حاجًّا فلما كان فى بعض الطرق مات جَمَلُه ، فذهب إلى عمرو بن عثمان وكان يومئذ والىَ المدينة وشكا إليه فلم يعطِه شيئًا ، فقعد

(١) الخزّ : أحسن الحرير ويسمى الإبريسم والمطارف : جمع مِطْرف وهو رداء أو ثوب من خز مربع ذو أعلام .
(٢) المعاطن: مبارك الإبل ومرابض الغنم عند الماء .
(٣) الراحلة من الإبل : الصالح للأسفار والأحمال .
(٤) تجد هذه القصة فى الدر المنضود للمناوى (ص ٧٠ - ٧١) والمستطرف للإبشيهى (١/٢٤٨ - ٢٤٩) .

الأعرابى يتصفّحُ وجوهَ الناس ، فمرّ به عبد الله بن جعفر ، فقام إليه الأعرابى وقال هذه الأبيات :

أبا جعفرٍ إن الحجيجَ تَحَمّلُوا ... وليس لرحلى فاعلمنَّ بعيرُ[1]
أبا جعفرٍ ضَنّ الأمير بمَالِه ... وأنت على مافى يَدَيْكَ أَمِيرُ[2]
أباجعفرٍ ابن الشهيد الذى ... له جناحان فى أعلا الجِنانِ يَطِيرُ[3]
أبا جعفرٍ من آل بيت نبوةٍ ... صلاتُهم للعالمين طَهُورُ

وكان لعبد الله بعير يقدمه فعزله ، وقال : خذه بما عليه ، فذهب الغلام الذى له ليأخذ السيف الذى كان لعبد الله على البعير ، فقال له عبد الله : دعه فقد أعطيته البعير بما عليه ، فقال الغلام للأعرابى : احتفظ بالسيف فإنه اشتراه بألف دينار .

□ كم قوتك ياولدى ؟! :

وخرج عبد الله بن جعفر هذا إلى بعض أسفاره ، فنزل على نخيل لقوم وفيهم عبد أسود يحرسها ، فأتى بقوته وهو ثلاثة أقراص ، فبينما هم جلوس إذ دخل كلب إلى تلك النخيل وهو يلهث ، فدنا من الغلام وتَشَوّفَ[4] إلى تلك الأقراص فرمى له العبد قرصًا فأكله ! ، ثم رمى له الثانى فأكله ! ، ثم رمى له الثالث فأكله !، فأكل الجميع وعبد الله ينظر إليه ، فقال عبد الله للعبد : كم قوتُك ياولدى كل يوم فى هذا المكان ؟ قال : ثلاثة أقراص وهى هذه !، قال فلِم آثرت هذا الكلب بهن ! قال : ياسيدى ليست هذه بأرض كلاب ! ولم أشكّ أنه جاء من مسافة بعيدة وهو جائع ! ولما لم يحضرنى سواها ، قلت : أطوى[5] إلى غد ، قال عبد الله : بخٍ بخٍ ، والله إنْ هَذَا إلا أسخى[6] منى ! ، فما برح عبد الله إلى أن اشترى النخيل والعبد وأعتقه ووهب له النخيل وارتحل عنه ! .

---

(١) تحملوا : ارتحلوا .
(٢) ضَنّ : بخل .
(٣) جعفر الطيار مات شهيدًا بعد أن قطعت أطرافه ومن شابه أباه فما ظلم ! .
(٤) تَشَوّف : تطلّع ونظر وانتظر أن يناله منها نصيب ! .
(٥) أطوى : أبيت طاويا جائعاً .
(٦) بَخٍ بَخٍ : كلمة استحسان وإعجاب نقولها لإظهار إعجابنا بما نراه أو نسمعه . وإنْ بعدها بمعنى ما أى ما هذا إلا أسخى منى .

[خذها وأَمْسِكْ عَلَيكَ دارَك]

قال عَرَضَ محمد بن الجهم دارَه ليبيعَها ، فلما اجتمع الناس دفع فيها شخص خمسين ألف درهم ، فقال له محمد بن الجهم ! اشترها وطِبْ نَفْسًا وقرّ عينا ، قال : بماذا ؟ قال : بجوار سعيد بن العاص ، قال : وما سيرتُه فى جيرانه ؟ قال : إن سألته أعطاك ، وإن سكتَّ عنه ابتدأك ، وإن أسأت إليه أحسن إليك ، وإن أحسن إليك لم يَمُنّ عليك ! .

فبلغ القول إلى سعيد بن العاص فوجه إليه بمائة ألف درهم ، فقال : خذها وأمسك عليك دارك ! .

[جُود عبد الله بن عامر]

□ ما بالهم يبكون ؟! :

واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة دارًا كانت له فى السوق بتسعين ألف درهم ، فلما كان الليل سمع عبد الله بكَاءَ آلِ خالد ، قال : ما بالهم يبكون ؟! قال : إنهم يبكون لخروجهم من دارهم التى اشتريتَها ، فقال : ياغلام أَعْلِمْهم أن الدارَ والمالَ لهم جميعاً ! .

[إنى أكره أَنْ أسأل فى بيت الله غيرَ الله !!]

ودخل الرشيد إلى الكعبة ومعه إبراهيم الحجبى ، فلما خلا به قال له : ياإبراهيم قد وجبَ حقُّك علىّ فإن كانت لك حاجة فاذكرها لى ، فقال : ياأمير المؤمنين إنى أكره أن أسأل فى بيت الله غير الله ! .

□ يدك بالعطية أبسط من لسانى ! :

وقال المأمون للعتابىِّ : سَلْنى ، فقال :ياأمير المؤمنين يَدُكَ بالعَطِيّة أبسط من لسانى بالمسألة[1]!، فاستحسنها منه وأمر له بأربعين ألف درهم وقربه .

---

(١) بالمسألة : بالسؤال .

[من حكايات أبى دلف]

□ كأنما الدنيا أبو دُلَف ! :

وذكر أبو العباس الشيبانى ، قال : لما مرض أبو دُلف بالعِلة التى مات بها أقام شهرًا ملازمًا للوِسَادة ، فأفاق يومًا ؛ فقال لخادمه بِشْر : كم مر لى على هذا الحال ؟ قال : شهر ، فلما سمع ذلك من بشر بكى كثيرًا وقال : أيمر علىّ من عمرى هذا المدة لا أَبْسُطُها[1] لأحد من الناس ؟!، يابشر ؛ اخرج إلى الباب فإنى قَلَّما أشهد أن بالباب قومًا لهم إلينا حوائج ، فلا تمنع أحدا من الدخول إلينا ، فخرج بشر فإذا عشرة من أولاد أبى طالب[2] فأمرهم بالدخول ، فدخلوا ، فابتدر رجل منهم وقال : أصلحك الله ! نحن قوم من بنى طالب .. مرضت لنا والدة ، وقد أحاطت بنا المصائب ، وأجحفت بنا النوائب ؛ فإن رأيت أن تجبر كسرنا وتُعينَ فقرَنا فعَجّل !؛ فقال لخادمه : خذ بيدى وقم فأجلسنى على ذاك ، ففعل ، ثم قال : ليأخذ كل واحد منكم ورقة ، وليكتب فيها بخطه أنه قد قَبَضَ مِنّى مائَة ألف درهم ، فتحيروا عند قوله !، فلما كتبوا الرِّقاع[3] وضعوها بين يديه ، فقال لخادمه : ائتنى بالمال ، فأحضره فأعطى كل واحد منهم مائة ألف درهم .

فلما تسلموا المال قال له رجل منهم : بالآباء نفديك ، وبالأمهات نقيك !، والله ما لنا مالٌ ولا عَقَارٌ ، وخطوطنا عندك ما[4] تصنع بها ؟!، فبكى ! وقال لهم : أتظنون أنها وثائق عليكم ؟!، لا والله ! لا والله !، ثم قال لخادمه : يابشر إذا أنا متُّ فاجعل الرقاع فى أكفانى ! شفاعة لى يوم القيامة .

ثم قال له : أوصل لكل منهم ألفَ دينار لنفقة طريقه ، انصرفوا ، بارك الله فيكم .

---

(١) أى لا أبسط يدى بالعطاء والبسط كناية عن الجود والقبض كناية عن البخل .

(٢) قد تعرضوا لمحن كثيرة بعد مقتل على - رضى الله عنه - !

(٣) الرِّقاع : جمع رُقعة وهى قطعة من الورق أو الجلد تُكتب .

(٤) أى الرِّقاع التى وقعنا عليها بتسلم المبلغ منك .

وقد قيل فيه :

كـأنما الدنيـا أبـو دُلَـف بين باديـه ومُحْـتَضَرِه
فـإذا وَلّـى أبـو دُلَـف وَلّتِ الدنيـا على أثَـرِه[1]

[لا أرضى بالعطاء اليسير]

خرج يزيد بن المهلب على بنى أمية وتغلب على البصرة فأخذه عمر ابن عبد العزيز وحبسه ، فهرب من سجنه ليلاً وكان معه ابنه مُخَلّد ، فنزلا بعجوز من العرب فذبحت لهما عَنْزًا ، فلما أصبح قال لابنه : كم معك من المال ؟ قال : ثمانمائة دينار ، قال : ادفعها للعجوز ، قال : ياأبت إنك لفى شدة ؛ وإنك لمحتاج للمال !، وهذه العجوز يُرضيها منك اليسير وهى لاتعرفك ، فقال أبوه : يابنى إن كان يرضيها منى اليسير فأنا لا أرضى بالعطاء اليسير ، وإن كانت لا تعرفنى فأنا أعرف بنفسى ! .

ادفع المال كله لها ، ففعل ومضيا ! .

[معن والشعراء]

□ ما أقل قَسْمَ هذا الشاعر ! :

وذهب بعض الشعراء إلى مَعْن فأقام ببابه يومًا فلم يؤذن له ، فقال : لأحد غلمانه : ما بال الأمير لا يركب[2]؟!، فقال له : هو فى البستان مخْتَلٍ ، فأتى الشاعر إلى البستان وأخذ خشبة وكتب عليها وهو يقول بصوت حسن :

أياجُودَ مَعْنٍ ناجِ مَعْنًا بَحاجَتى فمالِى إلى مَعْنٍ سِواكَ رَسُول !

ثم ألقاها فى الماء الذى هو داخل البستان ، وكان معن جالساً على رأس الماء ، فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها ، فأمر بدخولِ صاحبِها ، فلما دخل ووقف بين يديه قال له : اجلس ، فلما جلس قال له : كيف قلت ؟ فأنشده البيت ، فأعجبه كثيراً وتمايل طَرَبًا ، وأمر له بمائة ألف درهم ، ووضع الخشبة تحت بِساطه .

---

(١) البيتان للعكّوك على بن جبلة من قصيدة طويلة .

(٢) لا يركب : لا يخرج للنزهة والأسفار ! .

فلما كان فى اليوم الثانى أخرجها وقرأها ، ثم دعا بصاحبها فدفع له مائة ألف درهم ، فلما أخذها الرجل تَفَكّر فى نفسه وقال : أخاف أن يرتجعها منى ، فأخذ المال وذهب .

فلما كان فى اليوم الثالث أخرجها وقرأها ، ثم دعا بصاحبها فأخبر أنه قد انصرف ، فقال معن : ما أقلَّ قَسْمَ[1] هذا الشاعر لقد وجب له علىّ أن لا يكون فى خزائنى درهم إلاَّ أعطيته[2].

[جود عبد الله بن عامر]

وخطب عبد الله بن عامر الناس في يوم عيد النحر وكان عاملاً بالبصرة حينئذ وكان من فصحاء الناس فَأُرْتِجَ عليه ولم يُفْتَح عليه بشيء ولا بكلمة واحدة فبقى ساكتًا ساعة ، ثم قال : ياأهل البصرة لا يجمعُ عليكم عبدِ اللهِ بين صَمْتٍ ولومٍ ! ألا من أخذ شاة من السوق فهى له وثمنها علىّ ، قوموا رحمكم الله ، قال : فتبادر الناس إلى غنم كانت تباع قريبًا من سوق بإزاء المصلّى ، فأخذ كل منهم شاة ووزن عبد الله ثمنها فكانت القيمة عن ذلك أربعة آلاف دينار ! .

□ دنانير لها وزنها ! من أجل الصدقة ! :

وكان جعفر بن يحيى يضرب دنانير وزن كل دينار منها وزن مائة دينار ويصعد إلى أعلى داره ويرمى بها ، فمن أخذ منها شيئًا كان له ولا ينكر عليه إذا صرفه وكان على كل دينار مكتوب هذان البيتان :

وأصفر من ضرب دار الملوك يلوح على وجهه جعفر
يزيد على مائة واحدًا إذا نالَه معسرٌ يَيْسَرُ[3]

□ هل ربح أحد من التجار كربحى ؟! :

وركب خالد فى يوم شديد البرد كثير الغيم ، فتعرض له رجل فى الطريق ، فقال له : ناشدتك الله إلا ضربت عنقى ، فقال له : أكفر بعد إيمان ؟ قال : لا . قال : أزِنًا بعد إحصان[4]؟ قال : لا . قال : أفَرَغبت عن

(١) القَسْم : العطاء . (٢) تجد هذه القصة فى المستطرف (٢٣٩/١) .
(٣) يَيْسَر : يستغنى ، ويصبح موسراً . (٤) أى بعد تزوج وعفة !

طاعة الرحمٰن[1]؟ قال : لا . قال : أفقتلت نفساً بغير تِبْيان[2]؟ قال : لا . قال : فما سبب ذلك ؟ قال : لى خصم لحوح قد عَلق بى ولَزِمَنى وقهرنى ، قال : من هو ؟ قال : الفَقر ، قال : فكم يكفيك لدفعه ؟ قال : أربعة آلاف درهم ، قال : إنى مُمِدّك بأربعة آلاف درهم ، ثم قال : ياغلام ادفع له أربعةَ آلافِ دِرهم ، ثم التفت وقال : هل ربح أحد من التجار كربحى اليوم ، قال : وكيف ذلك ؟ قال رغبت فى أن أُعْطِىَ لهذا الرجل ثلاثين ألف درهم ، فلما طلب أربعة آلاف درهم توفر علىّ ستةٌ وعشرون ألف درهم ، فلما سمع الرجل ذلك منه قال : حاشاك وأعيذك بالله أن تربح على مَؤُمِّلِك ، فقال : ياغلام : أعطه ثلاثين ألفًا ، ثم قال للرجل : اقبض المال واذهب آمنًا من خَصمك ، ومتى رجع يقارضك[3] استَنْجِدْنا عليه .

□ ما فضل الكريم عن اللئيم ؟ :

وحدث الأصمعى قال : كنت أغشى رجلاً لكرمه ، فأتيته بعد مدة فوجدته قد أغلق بابه ولزم بيته ، فأخذت ورقة وكتبت فيها هذا البيت :

إذا كان الكريم له حِجـابٌ فما فضل الكريم على اللئيم ؟!

وبعثت بها إليه ووقفت أنتظر الجواب ، فعادت وعلى ظهرها مكتوب :

إذا كان الكريمُ قليـلَ مـالٍ تَستّر بالحجابِ عـن الغريـمِ[4]

ومع الرُّقعة صُرّة فيها خمسمائة دينار .

فقلت : والله لَأُتْحِفَنّ أميرَ المؤمنين بهذه الحكاية ، فأخذت الصُّرةَ والرُّقعةَ ومَضَيْتُ إلى المأمون فدخلت عليه ، فقال : من أين ياأصمعى ؟! فقلت : من عند أكرم الناس – حاشا[5] أمير المؤمنين – ثم قصصت عليه القصة ووضعت الصُّرة والرقعة بين يديه .

فتأمل الصرة وقال : ياأصمعى هذه الصرة بختم بيت المال ، فـأُحْضِرِ

---

(١) رغب عن طاعة الرحمٰن : تركها وهجرها وهى بخلاف رغب فيها : أى مال إليها فهناك فرق بين رغب فى .. ورغب عن ..

(٢) بغير تبيان ووضوح دليل وسبب للقتل .(٣) يقارضك . يقال : قارضه الزيارة : زاره ليزوره . ويقال : قارَضه : جازاه ، وهو فى الشر أغلب .

(٤) الغريم : الدائن . المطالب بالمال .

(٥) حاشا : ماعدا وهى من أدوات الاستثناء .

الرجل الذى دفعها إليك !، فقلت : اللهَ اللهَ ياأمير المؤمنين ! الرجل قد أولانى خيرًا ، قال : لابدّ منه ، فقلت له : غيرَ مُرَوّع[1]!، قال : غَيَر مُرَوَّع ، فعرفته مكانه ، فبعث إليه فحضر ؟!

فلما مثل بين يديه جعل المأمون يَتَوسَّمُه[2] وينظر إليه ، ثم قال : ألَسْتَ أنتَ الرجل الذى وقفتَ بموكبنا بالأمس وشكا إلينا رقة حاله وكثرة عياله ؟! قال : نعم ياأمير المؤمنين ، قال : وأمرنا لك بخمسمائة دينار ؟ قال : نعم وهى هذه ياأمير المؤمنين ! .

قال : ولِمَ دفعتها للأصمعى على بيت واحد من الشعر ؟ قال : اسْتَحَيْت أن أردّ قاصدى إلاّ كما ردّنى أمير المؤمنين بالأمس ! قال : لِلّهِ دَرُّك[3]! ما أكرم خُلقَكَ وأوْفَر مُروءتَك ! .

ثم أمر له بألف دينار ، فأخذها وانصرف ، قال الأصمعى : فقلت : إنْ رَأى أميُر المؤمنين أن يُلْحِقَنى به ، قال : لا . نحن نكمل لك ألفًا ، فأمر للأصمعى بكمالها ! .

□ احملوها على دابته واذهبوا بها إلى منزله :

قيل : واشترى عبد الله بن أبى بكر جارية بعشرة آلاف درهم ، فطلب دابة ليحملها فناداه رجل : ياسيدى هذه دابتى لك ، فقال : احملوها على دابتى واذهبوا بها إلى منزله ، ثم قال هذه الأبيات : .

سابِق إلى الخير وبَادِرْ بـه ... فإن مِنْ خَلْفِك ما تَعْلَم
وقَدِّمِ الخيرَ فكلُّ امْرِىءٍ ... على الذى قدّمَه يُقْدِمُ
ياليتَ شعرى[4] بعدنا ما الذى ... يورثك الدينارَ والدرهم ؟!

□ سلوك الكرام ! :

قال : وكان عمر بن أبى ربيعة إذا احتجم[5] أعتق الذى حجمه ، فإذا

(١) غير مُرَوَّع : أى على شرط ألا نسبب له ما يزعجه ويروعه .
(٢) يَتَوسَّمُه : يتأمله ، ويدقق النظر فيه ويستعيد ذكريات سبقت ! .
(٣) أسلوب من أسلوب التعجب . والمراد : كثر خيرك والدر اللبن . ويقال هذا الأسلوب فى المدح والتعجب .
(٤) ليت شعرى : ليتنى أعلم .
(٥) عمر بن أبى ربيعة أحد شعراء الغزل واحتجم : طلب الحجامة ، والحَجام محترف الحجامة كالحلاق وهو يقوم بجمع بعض الدم الفاسد بمحجمه فى قارورة .

لم يكن له ابتاعه فأعتقه ، فإن كان حرًا أعطاه غُرّة[1].

[جُود ابن خارجة]

□ خذ بيدها بارك الله فيك ! :

قال : ورجع أسماء بن خارجة إلى باب داره ، فإذا بفتى على باب داره ، فقال له : يافتى ما أجلسك هٰهنا ؟ قال : خيرًا ، فألح عليه ، قال : جئت سائلاً إلى هذه الدار فخرجت إلىّ منها جارية فاختطَفَتْ قلبى ، فجلست لكى تخرج ثانيًا فأنظر إليها !، قال : أو تعرفها ؟! قال : نعم ، قال : فَدعا الجوارى ، فجعل يعرض عليه .. هذه .. هذه حتى مرت به التى يَعْرفها ، قال : هى هذه !، فقال : مكانَك[2]، ودخل الدار وخرج ، وقال : إنها لم تكن لى فابتعتها بثلاثة آلاف درهم ، فخذ بيدها بارك الله لك فيها ، فولدت له بالكوفة أولادًا كثيرين ! .

□ بذل الوجه ! :

قال : وكان أسماء بن خارجة يقول : ما بذل لى رجلٌ[3] وجهَه فرأيت شيئًا من الدنيا أعظم من بذلِ وجْهِه !، وفيه يقول :

إذا مات ابن خارجة بن حصن ... فلا مَطَرَتْ على الأرْضِ السماءُ
ولا رجَعَ البشيرُ بغُنْمِ جَيْشٍ ... ولا حَمَلت عَلَى الطُّهْرِ النساءُ
فيوم منك خيرٌ من أناسٍ ... تروح عليهمُ نَعَمٌ وشاءُ[4]
فبورك فى بنيك وفى بنيهم ... إذا ذُكِروا ونحن لهم فداءُ

[صور من جُود عائشة أم المؤمنين]

قال : ودخل المنكدر على عائشة – رضى الله عنها – فقال : أصابتنى حاجة فأعينينى ، فقالت : ما عندى شىء ، ولو كانت عندى عشرة آلاف

(١) غرة : من المتاع خياره ورأسه . والغرة أيضا : عبد أو أمة .
(٢) مكانك : اسم فعل أمر بمعنى الزم .
(٣) بذل وجهه : أقبل عليه طيب النفس ! .
(٤) نَعَم وشاء : النَّعَم : المال السائم ، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل . والشاء : جمع شاة وهى الواحدة من الضأن والمعز والظباء والبقر والنعام وحُمُر الوحش .

درهم لبعثتها إليك ، فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم ، فأرسلتها إليه ، فخرج إلى السوق فاشترى جارية بألف درهم فولدت له ثلاثة أولاد فكانوا يقولون : من خير عباد المدينة محمد وأبو بكر وعمر أبناء المنكدر .

□ صاحب شرطة معن :

وذكر عن صاحب شرطة معن ، قال : بينما أنا على رأس معن إذا هو براكب مُجِدّ يريد النزول بساحة معن ، فقال لحاجبه : لا تحجبه ، فجاء به حتى مثل بين يديه ، وقال : أصلحك الله ، ثم قال :

قَـلّ مـا بيـدى فمـا أُطيـقُ العيـالَ إذْ كَثُـروا
الدهـر رمـانى بكلكلـه[1] فأرْسَلـونى إلـيك وانتظـروا[2]

فحمل إليه مايفى بحاجته !!.

[الأعرابى وطلحة الطلحات]

وحدث عن الأصمعى قال : لقى أعرابىّ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ ، فقال : أترى أن تُفيض علىّ مما أفاض الله عليك ؟! قال : ياغلام اِحثُ له[3] مما فى خُرْجك[4] فحثى له حتى امتلأ كُمُّه دنانير ، فبكى الأعرابى ، فقال له : ما يبكيك ياأعرابى ؟ لعله لم يكفِك ما أخذتَ واستَقْلَلْته ؟! قال : ولا والله ولكنى أبكى على كريم مثلك يواريه التراب ، فقال : ياغلام ادفع إليه الخُرْجَ كما هو .

[من أسخياء أهل الإسلام]

□ الطلحات الأجواد :

وقد ذُكر أن الأسخياء من أهل الإسلام : عبد الله بن جعفر ، وطلحة

---

(١) الكلكل : الصدر أو ما هو بين الترقوتين والمراد أنه يحمل حملا ثقيلا .
(٢) القصة فى المستطرف (٢٣٩/١) .
(٣) اُحثُ لَه : أعطه غَرْفة والواحدة حَثْوَة .
(٤) الخُرْج : وعاء من شعر أو جلد ذو عِدْلين ، يوضع على ظهر الدابة لوضع الأمتعة فيه . والعِدْل : الجانب والناحية

الطلحات وسُمى بذلك لأنه أجود مَنْ سُمّى به ، قال الأصمعى : والطلحاتُ ، الأجواد خمسة : طلحة بن عبد الله ، « وهو طلحة الفيّاض » ، وطلحة بن عمر بن عبد الله التيمى وهو « طلحة الجواد » ، وطلحة بن عبيد الله بن عوف وهو « طلحة النّدَى » ، وطلحة بن الحسن بن على وهو « طلحة الخير » ، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى وهو « طلحة الطلحات » .

□ طلحة الطلحات وأهل البصرة ! :

وحكى أن طلحة الطلحات لما قدم البصرة أتاه الناس يسلمون عليه فأدخلهم داره ، وقبل أن ينزل عن دابته قال لغلامه : انظر من أتى مُسَلِّمًا هل له من حاجة ؟! فنادى غلامُه فى الناس من كانت له حاجة فليعرضها فقال هذا : علىَّ دين ، وقال آخر : كذا ، وآخر كذا ، وآخر غير ذلك ، واختلفت حوائجهم .

فقال لهم طلحة : قضيت حوائجكم ، وأعطاهم ما طلبوا ، فقال الناس : ما رأينا مثل طلحة هذا ، وثياب السفر عليه ، وأخرج قبل أن ينزل أربعمائة ألف درهم ! .

[معن وشعر الشعراء]

□ لم يبق فى بيت المال إلا ما أخذت ! :

قال : كان لمعن شاعر يغشى مجلسه فى كل يوم ، فانقطع عنه أيّامًا ، فلما دخل عليه قال : ما أبطأك ؟! قال : وُلِدَ لى مولود ، قال : فما سميتَه ؟! قال :

سميتُه معنًا بمعنٍ ، ثم قلتُ له هذا سَمِيُّ عَقيدِ المجدِ والجودِ

قال : ياغلام ؛ أعطه ألف دينار وقل بيتًا آخر ، قال :

عَلَوْت بجودكِ جودَ الناسِ كُلِّهم فصار جودُك محرابَ الأجاويدِ[1]

قال : ياغلام ؛ أعطه ألف دينار وقل بيتًا آخر ، قال :

أنت الجوادُ ومنك الجودُ أولُه فإن فُقدتَ فما جودٌ بموجودِ !

قال : ياغلام ؛ أعطه ألف دينار وقل بيتًا آخر ، فقال :

من نورِ وجهكَ تُضْحِى الأرضُ مشرقةً ومن بَنَانِكَ يجرى الماءُ فى العودِ !

(١) عَلِىَ يَعْلَى فى الشرف عَلاَءً فهو عَلِىّ : ارتفع . ومثله : علا يعلو .

قال : ياغلام ؛ أعطه ألف دينار ، وقل بيتاً آخر ، فقال الغلام : لا تقل شيئاً بعد ذلك ! والله لم يبقَ فى بيت المال إلّا ما أخذت ، ثم انصرف ! .

□ ما القِرَى فى نظرهم ؟! :

وقال : حصلت فى بعض البوادى فحضرنى جماعة من فتيان العرب فقلت لأحدهم : ما القِرى ؟ قال : نارٌ يعلو شَرْفُها[1]، وخيمة يُوَطّأ كَنَفُهَا[2].

فقلت لآخر : كيف القِرى ؟ قال : تَلَقى النّزِيل بالوجْهِ الجميل .

وقال آخر : نارٌ تَأَجَّجُ وأسنة تَلَهْوَج[3].

وقلت لشيخ فيهم : ما تقول أنت ؟ قال : تاج الغرام يُستدل به على بيوت الكرام .

وقال آخر : نار قديمة السواد ، عظيمة الرماد[4] يحيا بها جميع العباد .

وقلت لآخر ممن الرجل ؟ فقال : من الذين لا تخْفَى نارُهم ، ولا يَخْفَى جارُهم[5] وحسبى أنهم فى العَلْياء أشهر من نجوم السماء ! فانظر ياأخى إلى ذكر أحوال هؤلاء القوم بَلِيَتْ أشخاصهم ، وتُليت مكارمُهم وأوصافهم ، تضرب بهم الأمثال كأن أوقاتهم كانت أضغاثَ أحلام ! ..

---

(١) يقال : علا الشىء شَرَفًا : أشرف وأطل . (٢) كَنَفُها : جانبها . ويوطّأ : يمهد .

(٣) تلهوج الشىء : تعجله ، وتلهوج اللحم لم ينضجه . والاسنة جمع سنان : كل ما يسن عليه السكين وغيره .

(٤) قديمة السواد : دائمة الاشتعال : كثيرة الرماد هى كناية عن كثرة الطبخ والشى مما يدل على الكرم .

(٥) لا يخفى جارهم من كثرة المشى والسعى إليها .